المكتبات وإصلاح الاتصال العلمي: ما الذي تحقق، وما الذي ينتظرنا؟

جويس ل. أوغبورن



الملخص:

يستعرض المقال تقدم حركة تغيير الاتصال العلمي بوصفها جهدًا اجتماعيًا تقوده المكتبات وشركاؤها نحو انفتاح أكبر في إنتاج المعرفة ونشرها. ويعرض توسع خدمات الإشراف الرقمي وإدارة البيانات والنشر والملكية الفكرية، ونمو السياسات المؤسسية والتحالفات والمبادرات المهنية الداعمة للوصول المفتوح. كما يناقش العقبات المستمرة، ومنها محدودية الميزانيات ونقل الحقوق وبقاء معايير الترقية والمكافأة غير مواكبة للابتكار. ويقترح تطوير تعليم المكتبات لدمج قضايا النشر والبيانات، وتعزيز الصلات بين الاتصال العلمي والوعي المعلوماتي. ويتطلع إلى بيئة أكثر شمولًا للتجريب والمشاركة والتعاون بين التخصصات، تتسع فيها أشكال التعبير والبحث وتُكافأ الإسهامات المبتكرة. ويؤكد أن البحث والنقاش المهنيين ضروريان لاستمرار التحول وتحويل التقدم القائم إلى أثر أوسع.

الكلمات المفتاحية: تغيير الاتصال العلمي، المكتبات الأكاديمية، الوصول المفتوح، إدارة البيانات، المكافآت الأكاديمية

مستقبل تتوثق فيه صلة المكتبات بالبحث العلمي:

يتطلع المكتبيون إلى مستقبل تتوثق فيه صلتهم بسلامة البحث العلمي والاتصال العلمي. ومن هنا، يأتي صدور مجلة المكتبات والاتصال العلمي في وقت ملائم؛ فهي تعبر عما تحقق من تقدم، وتفتح المجال لمواصلة السير نحو هذا المستقبل.

شارك المكتبيون، طوال عقود، في حركة اجتماعية تستهدف إحداث تغيير جذري في الاتصال العلمي (أوغبورن، 2008). وفي السنوات الأخيرة، ومع تزايد الشعور بالحاجة الملحّة إلى التغيير، سرّعوا جهودهم واستقطبوا شركاء جددًا داخل التعليم العالي وخارجه. وإلى جانب هذا الإلحاح، دفعت التطورات التقنية وتغير الممارسات العلمية المكتبيين إلى تخصيص موارد للإشراف على الأصول الرقمية وصونها، وإدارة البيانات، والنشر، والمساعدة في مسائل الملكية الفكرية، والبحث العلمي الرقمي.

وشاركت في هذه الجهود جهات مؤسسية شملت البرامج والأقسام الأكاديمية، ومكاتب البحث والبرامج الممولة، ووحدات تقنية المعلومات المركزية، ومراكز الحوسبة عالية الأداء. ولتوسيع جهود التغيير على المستوى الوطني، استعان المكتبيون بمكاتب العلاقات الحكومية في مؤسساتهم، وبنوا تحالفات مع منظمات خارجية. ودعمًا لذلك، أنشأت جمعيات المكتبات وتكتلاتها فرصًا تعليمية تزود الساعين إلى التغيير بالمهارات اللازمة لفتح النقاش وإطلاق ممارسات جديدة.

آثار الجهود وشواهد التحول:

بدأ أثر هذه الجهود يتضح. تتزايد سياسات المؤسسات وقراراتها المتعلقة بالوصول المفتوح، فيما تتحول السياسات الاتحادية نحو نماذج مفتوحة لنشر البحوث بدعم من الحزبين. وتتسع الفرص والمشروعات الممولة بالمنح، وتواصل الحركة استقطاب حلفاء من جهات ومجالات متنوعة. ويتيح مزيد من الناشرين للمؤلفين خيارات للوصول المفتوح، كما تسهم التقارير البحثية والأوراق البيضاء المتاحة بحرية في تشكيل مهنة المكتبات. وأصبحت المكتبات والمنظمات المهنية تدرج قضايا الوصول المفتوح والأشكال الجديدة للبحث العلمي في خططها الاستراتيجية.

تقدم جمعية مكتبات الكليات والبحث (ACRL) مثالًا على ذلك. فقد اعتمدت هذه الجمعية، وهي طرف رئيس في حركة الاتصال العلمي، خطة للتميز في 2011 تحدد «البيئة البحثية والعلمية» مجالًا استراتيجيًا. وينص هدف هذا المجال على أن «يسرّع المكتبيون الانتقال إلى نظام أكثر انفتاحًا للبحث العلمي»، ومن أهدافه الفرعية «تقديم نماذج لممارسات نشر جديدة» (ACRL, 2011). واتساقًا مع مبادئها الراسخة، واستباقًا لاعتماد خطتها الاستراتيجية، حولت الجمعية مجلة (College & Research Libraries) إلى الوصول المفتوح الكامل في أبريل 2011.

وفي الاتصال العلمي، تتسع آفاق النمو والتغيير لتشمل جهودًا تتجاوز ما تستطيع المؤسسات المنفردة والأفراد إنجازه. فهناك منظمات جديدة ترعى تغير السلوك العلمي وتدعمه، مثل ائتلاف مؤسسات سياسات الوصول المفتوح، واتفاق الإنصاف في النشر بالوصول المفتوح. وفي شراكة حديثة، أعلن معهد هوارد هيوز الطبي وجمعية ماكس بلانك ومؤسسة ويلكوم تراست خططًا لإصدار مجلة وصول مفتوح جديدة باسم (eLife). ويتجمع الباحثون في مجموعات رسمية وأخرى مؤقتة لإتاحة مزيد من المحتوى، وتطوير أدوات التحليل وتطبيقها، وتعزيز منهجيات جديدة لقياس الأثر. وتلقي البحوث التعاونية الضوء على البيئة العلمية المتطورة، فتقدم إرشادًا للمكتبات الساعية إلى الإسهام في تحفيز التغيير.

عقبات لا يلغيها التقدم:

وكما هي الحال في كل حركة اجتماعية، لا يمكن عدّ النجاح أمرًا مضمونًا، وقد تبقى القضايا مثار خلاف بعض الوقت. وحتى مع التقدم الكبير، يستمر الجدل حول الاقتصاد والسياسات والممارسات داخل الكونغرس والجمعيات والهيئات والمختبرات وجهات التمويل والمؤسسات الخيرية وغيرها. وفي نشر الدوريات، تجعل سهولة الموافقة بنقرة واحدة على اتفاقيات نقل حقوق النشر المؤلفين أقل ميلًا إلى التفاوض بشأن حقوقهم. وتظل وثائق سياسات المكتبات وممارساتها خلف جدران الشبكات الداخلية، فيما يسابق المكتبيون الزمن لمواكبة بروتوكولات فهرسة محركات البحث.

قد يظن المرء أن ميزانيات المكتبات نمت بما يواكب تكاليف الموارد والتقنيات اللازمة لتحقيق الأهداف المؤسسية وتلبية توقعات أعضاء هيئة التدريس والطلاب، لكن الواقع خلاف ذلك. وعلى الرغم من قيادة كثير من الباحثين لتطوير نماذج وأدوات مشتركة، لم تتغير معايير الترقية والتثبيت الوظيفي كثيرًا للاعتراف بابتكاراتهم. وفوق ذلك، لا تزال الأشكال الرسمية للاتصال العلمي نظمًا مغلقة إلى حد بعيد، تنافس تدفق المعلومات المفتوح على الإنترنت.

فرص للتعليم وإدارة البيانات:

على الرغم من احتمال الانتكاسات، أستطيع أن أتصور تطورات مثيرة في المستقبل. فحين تقتنع برامج المكتبات وعلم المعلومات بإضافة محتوى جوهري عن حقوق الملكية الفكرية والنشر وإدارة البيانات والموضوعات ذات الصلة، سيغدو خريجوها مهيئين لتقديم خدمات مناسبة، وقيادة نقاشات مستنيرة، وإجراء بحوث ذات معنى. ولا شك في أن المكتبيين المندمجين في ممارسات التخصصات سيؤثرون في القائمة المتنامية من مبادرات المعلوماتية القائمة على التخصص.

وأرى أن نمو خدمات إدارة البيانات سيعزز إتاحة شتى أنواع المصادر الأولية وإعادة توظيفها وربطها داخل المجالات البحثية وفيما بينها. وتستكشف جمعية (ACRL) حاليًا الصلات بين الاتصال العلمي والوعي المعلوماتي لتعزيز مقاربة أكثر تكاملًا في تعليم استخدام المعلومات وإنتاج المعرفة. وقد يتطور هذا الاستكشاف إلى مشروع للوعي بالبيانات يكمل الاهتمام المتزايد بإدارتها.

إلى أي مدى قد تمضي الحركة:

تأملوا الأجيال القادمة من المكتبيين والباحثين الذين اعتادوا تبادل المعلومات والأفكار مع كل من يشاركهم الاهتمام؛ فقد يتوقعون ممارسة حياتهم المهنية في ظروف تشجع عاداتهم وقناعاتهم. وربما يحدث التغيير في الترقية والتثبيت الوظيفي أيضًا؛ فجمعية (ACRL) وائتلاف (SPARC) ينفذان استراتيجيات تتعلق بنظام الترقية والتثبيت. وسيركز منتداهما المشترك المقرر خلال مؤتمر جمعية المكتبات الأمريكية السنوي في أنهايم في يونيو 2012 على المقاييس البديلة، وإمكان إصلاح نظم المكافآت الأكاديمية، وتوسيع تعريفات البحث العلمي، وتحقيق قدر أكبر من الإنصاف للباحثين الداخلين إلى الوسط الأكاديمي.

وما أروع أن نقدم لهؤلاء الباحثين الجدد بيئة تشجع التجريب، ويكون النشر فيها عملية شاملة وداعمة بدلًا من عملية تقوم على الاستبعاد [1]، وتُشارك فيها النتائج غير الرسمية والرسمية للبحث والإبداع مشاركة مفتوحة، بما يحفز مزيدًا من التنافس في بناء الأدوات. وتتيح الأدوات الجديدة للباحثين استكشاف المحتوى والربط بين أوعيته المختلفة، بما يحفز اكتشافات جديدة ويكشف صلات غير متوقعة ومثمرة بين التخصصات.

ومع رقمنة هذا الكم الكبير من المعلومات وإتاحته عبر الإنترنت، ينبغي أن يتمكن الباحثون من التواصل بعمق واتساع أكبر عبر الزمن والجغرافيا دون عوائق كبيرة. ويمكن لهذه البيئة تسريع ظهور أشكال جديدة من التعبير الإبداعي والبحث العلمي، تزدهر بذاتها وتتشابك مع الأشكال التقليدية. وأخيرًا، ينبغي أن يُكافأ النجاح في ابتكار مقاربات تعاونية قابلة للتوسع لمعالجة القضايا الكبرى التي تواجه إنتاج المعرفة ونشرها.

إن استمرار البحث والنقاش ضروري لتحقيق هذه البيئة. ويوفر إطلاق مجلة المكتبات والاتصال العلمي فرصة ثمينة لاستكشاف أفكار جديدة واستثمار فرص الإبداع التي يتيحها التلاقي بين مهنة المكتبات والاتصال العلمي.

الهوامش:

[1] نشأت هذه الفكرة في عرض لمشروع ضمن ائتلاف المعلومات الشبكية (CNI) بعنوان «(Fembot): إعادة ابتكار إنتاج البحث العلمي والاتصال به»، قدمته كارين إستلوند وكارول ستابيل من جامعة أوريغون، في بالتيمور بولاية ماريلاند، في 3 أبريل 2012. موقع المشروع الوارد في الأصل: http://fembotcollective.org/

المراجع:

- Ogburn, J. L. (2008). Defining and achieving success in the movement to change scholarly communication. Library Resources and Technical Services, 52(2), 44-53.
- Association of College and Research Libraries. (2011, July 1). ACRL plan for excellence. http://www.ala.org/acrl/aboutacrl/strategicplan/stratplan